

حكايات الجدات تلهم الأجيال

رواية «حكايات المطر» لآسيا عبد الهادي تقتفي أسلوب الحكيم التراثي



حكايات من الماضي تفتح المستقبل (لوحة للفنانة سارة شمة)

الذي يتجسد في الحفاظ على التراث، والتمسك بالحق مهما انقضت بعده الأيام والسنون. وربما كانت هذه القيمة واحدة من القيم الأساسية التي أرادت الكاتبة بثها في روايتها. ثم تجعل الجدة من المطر رمزا للخير الذي لا بد أن ينتصر في نهاية كل صراع بين الخير والشر والحق والباطل. وهكذا "أفاق عمر من نومه يسأل جدته: هل انتصر حسن؟ هل عاد إلى أهله؟ وهل عثر على والده؟ وهل عاد إلى بيته؟ ضحكت الجدة وطمانته: نعم نعم يا عمر.. لقد حدث كل ما تمنى.. أخرى.. فما زال المطر ينهمر وأملنا بالخير كبير".

روحها، فيحرك بعض أعضائها. أفاقته قليلا، تمللت، لكن لا قدرة لها على الحركة. أغمى عليها، ثم أفاقته من جديد. تحسست جسدها فوجدته رطبا يغرق في شيء ما، غمست يدها به واشتمته، إنه الدم، تئن، كل شيء يؤلمها، تشعر بصداق يكاد يفجر رأسها فقد نرقت كثيرا، ربما لم يتبق في جسدها نقطة دم واحدة". وتحظى نهاية الرواية بالكثير من الأمل والعزم والتصميم

كان لا يزال لا يتصور موت الجوهرة". ويكشف وصف هذه اللحظات التي عاشتها الجوهرة عن تنوع أسلوب الحكيم في الرواية، ما بين الأسلوب السردي العادي والأسلوب الشعري. وقد تجسد ذلك تحديدا في وصف المواقف الإنسانية المؤلمة في الرواية، كما حدثت عند استيقاظ الجوهرة بعد فترة الإغماء الطويلة التي مرت بها "بين الركام والخراب امرأة لا يفصلها عن الموت سوى خيط رفيع، ملقاة في مكان معزول، وسط ظلام دامس، ولكن خيطا رفيعا من الحياة ما زال يتسلل إلى

الجوهرة إلى الحياة مرة أخرى، وحملها في بطنها طفلا يصبح في ما بعد قائد ثورة لإرجاع ملك أبيه. تصف الكاتبة لحظات الحمل هذه "الجوهرة تفيق بعد فترة، تغسل دمها، تعيش في القبو، تلاحظ انفخاط بطنها، وتكتشف أنه حثل. تنجب طفلا تسميه حسن وتظل مكانها خمس سنوات، ثم تهرب إلى المدينة. تتعرف على أم عادل المرأة العجوز العمياء، تظل سبع سنوات عندها، حتى وقت اكتشاف حدرج ورجاله لموضعها، تهرب بالطفل إلى مكان منعزل، حتى يبلغ السادسة عشرة من عمره، كان الوضع في المدينة يزداد حقا وغمضا على حدرج، يوجد حسن وسط المعارضين، يعجب به الملك الذي

يزخر التراث السردي العربي بالكثير من الحكايات المشوقة، التي لا تزال محافظة على جدتها وجمالها لم يلبها الزمن ولا التقادم، وربما يعود ذلك مثلما هو حال حكايات ألف ليلة وليلة إلى الأسلوب الذي كتبت به هذه الحكايات والقصص، ورغم التطور الكبير الذي عرفته المدونة السردية العربية مع التجارب الروائية فإنه ما زال من الممكن استلهام أساليب السرد القديمة لرواية قصص جديدة.

فاخذ صفته من صفات أهلها، ولم يختزل بمكان مادي محدد. أما الشخصيات فحملت كل واحدة منها دلالة مستقلة، غير أنها تتكامل مع الدلالات التي تحملها الشخصيات الأخرى، فالملك رمز للعدل، وزوجته الملكة رمز للغيرة القاتلة والغضب الجامح، أما الابن (الأمير) فكان رمزا للطيبة والنقاء وسمو المشاعر والحب والوفاء، بينما كانت زوجة الأمير الجوهرة رمزا للحب والوفاء والصمود، وللمرأة العربية التي تجيد تربية ابنها خير تربية.. وهكذا الأمر في ما يتعلق بباقي الشخصيات.

بنيت الرواية على عنصري المفاجأة والتشويق، وهما من سمات الحكيم التراثي، التي تجذب انتباه القارئ لمنابعة الحكاية بشغف وإثبات وتركيز، بل وبمشاركة وجدانية في معايشة المواقف المسالوية فيها. وقد اتضح هذا المنحى منذ أول فقرة في الرواية، إذ حملت حميمية وأحداثا غريبة مثوقة. تروي الجدة لحفيدها عن الملك الطيب ملك مملكة الوفاء والأمل واختفائه في ظروف غامضة، ثم تنصيب ابنه الأمير الطاهر، وعن حسن ورحلته إلى مدينة الزهور، التي لا يوجد فيها زعيم، فيفكر جدبا في أن يكون زعيما لهذه المدينة، وفي كيفية القضاء على خصومه، وصنع نسب يليق به، كل ذلك في صورة عجاظية، ثم يتراجع بعد ذلك عندما يجد صبيا يطعم جرورا صغيرا الخبز اليابس بعد أن يبلله له، فيبتكر كلام أمه "ابن الأصل لا يظلم الناس"، ويتأمل الأمر مليا ويتساءل "ماذا يعني الصبي من فعله هذا إلا العطف والرحمة على حيوان، وماذا اجني بضاللي وجري وراء المناصب والمال؟".

السرد والشعر

يحتل عنصر المفاجأة في الرواية حيزا كبيرا يتناقض مع مبدأ السببية في بناء الأحداث، لذا لا يتوقع القارئ سيرورتها، الأمر الذي أضفى على النص المزيد من التشويق، والأزم القارئ بالتربح وعدم توقع النتائج قبل أوانها. ومن الأمثلة على ذلك عودة شخصية

عواد علي كاتب عراقي

على غرار الحكايا الشائقة التي كانت الجدات يروينها لأحفادهن المتحلقين حولهن في ليالي الشتاء، تصوغ الروائية الأردنية آسيا عبد الهادي روايتها الجديدة "حكايات المطر".

الكاتبة جعلت الزمن طليقا فلم تحدده بسياق تاريخي معين لتكون القيم داخل الحكاية صالحة لكل زمان ومكان

في الرواية، الصادرة مؤخرا عن دار الأن ناشرون وموزعون في عمان، تروي جدة لحفيدها عمر حكاية عن البطل حسن من أجل تسليته وإنعاش مخيلته. لكن هذه التسلية ليست هدفا نهائيا للحكاية، فهي تنطوي على مجموعة من القيم الأخلاقية التي أرادت لها الجدة أن تكون سندا لحفيدها في مستقبل حياته.

حكاية الجدة

تبدأ الجدة حكايتها بالعبارة التقليدية "كان يا ما كان في قديم الزمان، يا سعد الأكرام ما يطيب الحديث إلا بذكر النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كان بيتنا قريب.. وأجيب لكم صحن زبيب.. تاكلوا وتشربوا وتصلوا على النبي الحبيب". ثم تسترسل في حكايتها التي تنتهي باستفاقة الحفيد من النوم، فيطرح عليها مجموعة أسئلة تتعلق بحسن ومصيره. وما بين هذه البداية والنهاية تتفرغ الحكاية إلى مسارات عديدة، وتقدم شخصيات متنوعة تحمل كل واحدة منها حكاية لوحدها.

وقد جعلت الكاتبة الزمن طليقا، فلم تحدده بسياق تاريخي معين لتكون القيم داخل الحكاية صالحة لكل زمان ومكان. لكن المكان ارتبط بمملكة الوفاء والأمل،

رواية جزائرية عن تاريخ بريطانيا المجهول

الجزائر - تدور أحداث رواية "شيزوفرنيا.. أناسكازيا" للروائي الجزائري حمزة لعرايحي في قالب من الفانتازيا التاريخية، إذ يحاول مؤلفها أن يصطبغ القارئ لاكتشاف وقائع تاريخية حدثت في مملكة "ويسكس"، حيث الغابت السوءاء، والجزيرة المجهولة.

وتعالج الرواية موضوع انقسام الشخصية لدى البطلة، وكيف لمرض عقلي، اكتشفه علماء النفس خلال القرن العشرين، أن يكون منتشرًا خلال حقبة العصور الوسطى.

ويستعين الكاتب بشخصية خيالية تمكنه من سرد الأحداث الواقعية في قالب خيالي تتخلله الفكاهة أحيانا، من أجل معالجة موضوع الصراعات السياسية التي تطورت إلى صراعات عقائدية. ويستعين أيضا، بأحداث واقعية من أجل تحرير الرواية، انطلاقا من المصادر الأقرب إلى تلك الحقبة الزمنية، والتي حددها المؤرخون بالفترة 865 - 899م، وهي الحقبة التي برز فيها نجم الملك ألفريد العظيم. وتعد هذه الشخصية الغزلب موضوع الرواية.

وتقوم أحداث هذا العمل السردية على أساس دراسة معمقة أجراها المؤلف حول مملكة "ويسكس" في

يقدم مسحا شاملا عن عمان والبحارة ومرحلة التشغيل البشري البحري إلى المحيط الهندي. تلت ذلك أساليب صناعة السفن وأدواتها في الفصل الخامس. وتصدى المؤلف في الفصل السادس إلى العديد من المعلومات حول الملاحة البحرية وأدواتها واتجاهاتها إلى غرب الهند وشرق أفريقيا.

أما الفصل السابع والثامن فقد رصد المؤلف فيها الكثير من المعلومات الهامة عن البحارة والغواصين وصيادي اللؤلؤ. وركز المؤلف على مبادئ الملاحة البحرية والإبحار في الفصل التاسع، ثم صور مراحل الإعداد والاستعداد للإبحار وصناعة السفن وتجارة الأسماك والدالسي، والواقع المجتمعي الخليجي وتفصيل هيكل السفن الشراعية وكل الأدوات التي تستعمل في صناعتها، وتفصيل الطاقة البشرية التشغيلية في مراحل الصناعة والإبحار والملاحة والغوص والتجارة في سواحل الهند والصين وأفريقيا، بالإضافة إلى الإنفاق المالي والعائد المالي في كل مرحلة.

وجاء الفصل الأول عاما يتناول مواضيع عن شمولية دراسة المؤلف في كتابه، بينما تناول الفصل الثاني صناعة السفن الشراعية. أما الفصل الثالث فتطرق إلى سواحل الخليج العربي والبحارة، والفصل الرابع

ويحاول الكتاب استكشاف أهمية السفن الشراعية من ناحية طرائق صناعتها، وأسمائها، واختصاص صنع تلك الأسماء بالمناطق الخليجية الساحلية، ومهمتها التجارية بعد صناعتها، ومساراتها الملاحية، ونوعيات المنتجات التجارية والسلعية التي ارتبطت بها، كما يتطرق إلى البيئة الثقافية التي خلقتها صناعة السفن وما يتعلق بها من أعمال وظواهر اجتماعية وفنية.

يدرس المؤلف في كل فصل مرحلة هامة من مراحل مجتمعات السفن الشراعية التي تغطي معلوماتها ما يزيد عن أكثر من 150 عاما ماضية، مضمنا فيها الخبرات العلمية والعملية في ميادين الملاحة والإبحار وصناعة السفن وتجارة الأسماك والدالسي، والواقع المجتمعي الخليجي وتفصيل هيكل السفن الشراعية وكل الأدوات التي تستعمل في صناعتها، وتفصيل الطاقة البشرية التشغيلية في مراحل الصناعة والإبحار والملاحة والغوص والتجارة في سواحل الهند والصين وأفريقيا، بالإضافة إلى الإنفاق المالي والعائد المالي في كل مرحلة.



مجتمعات السفن الخليجية في كتاب جديد

التجاري عبر السفر بالسفن الشراعية، وذلك من مصادر وأرشيفات تاريخية تفيد بالكثير من المعلومات اللغوية والاثنولوجية والإثنوغرافية حول الموضوع.

بالإضافة إلى ذلك قام المؤلف بتسجيل المعلومات من بحارة وغواصين كبار في السفن ما زالوا على قيد الحياة، حيث سجلت معهم مقابلات حول كل ما يتعلق بتجاربيهم الخبرة في صناعة السفن والإبحار، والتجارب الصعبة التي عانوا منها بوصفهم نواخذة أو بحارين أو غواصين.



السفن تراث ثقافي عريق

الرواية تتناول جزءا من التاريخ الإنجليزي المجهول في العالم العربي، نظرا إلى غياب المصادر المترجمة

وتتناول الرواية جزءا من التاريخ الإنجليزي الذي لم يلق رواجًا بعد في العالم العربي، نظرا لعدم توفر المصادر المترجمة إلى اللغة العربية، وهذا ما جعل الكاتب يوظف قدراته اللغوية ليكشف النقاب عن تلك الأحداث. كما تتحدث الرواية عن شعب الفايكنغ، وغزواته إبان تلك الحقبة التي انشغلت فيها بريطانيا بالحروب الأهلية والقومية، وتخللتها الصراعات العقائدية. يشار إلى أن حمزة لعرايحي من الروائيين الجزائريين الشباب، وسبق له أن أصدر رواية بعنوان "مملكة السلطعون الأحمر".

